نحو وعي أكبر لأشكال الصراع

19-11-2003

هناك قضايا رئيسة وخطيرة في الصراع الحضاري القائم في العالم الإسلامي ، ولعل أبرز جانبين هما: البعد النفسي والإعلامي في الصراع ، والتحالفات السرية بين المخابرات الأمريكية والكيان الصهيوني وبين عدد من قيادات المعارضة والأقليات الموجودة في العالم العربي .

بقلم محمد سليمان

في مقال فهمي هويدي "التحالفات السرية تهدد باختراق العالم العربي" (المنشور في مجلة وجهات نظر، نوفمبر 2003) إشارة إلى قضايا رئيسة وخطيرة في الصراع الحضاري القائم في العالم الإسلامي ، ولعل أبرز جانبين يشير لهما المقال هما: البعد النفسي والإعلامي في الصراع ، والتحالفات السرية بين المخابرات الأمريكية والكيان الصهيوني وبين عدد من قيادات المعارضة والأقليات الموجودة في العالم العربي .

ففي الجانب الأول (الإعلامي) تكمن الحرب الخطيرة وهي حرب الوعي أو الحرب المعنوية ، واعتبارها خطيرة ؛ لأنها تسعى للتأثير على الطرف الأخر من الداخل من خلال إدخال قناعات و أفكار تسوقه للقبول والاستسلام لإرادة الخصم والتسليم لأهدافه ، و قد كتب غير واحد من الكتاب والدارسين عن هذا البعد الخطير في الصراع ، ومن ذلك كتاب هيكل بعنوان " حرب من نوع جديد " و يشير فيه إلى هذا البعد الخطير والأهم في الصراع ، كما أصدر اثنان من الكتاب الأمريكان (شلدون رامبتون و جون ستوبر) كتابا بعنوان " أسلحة الخداع الشامل " يشيران فيه إلى العقود التي أبرمتها الجهات الأمريكية (وزارة الدفاع والمخابرات المركزية) مع شركات العلاقات العامة بهدف تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية .

ومن تلك العقود والتي يجدر الحديث عنها في هذا السياق : العقد الذي وُقع مع شركة " راندوم " للعلاقات العامة بهدف تأهيل وإعداد المعارضة العراقية ضد الرئيس صدام حسين ونظامه ، وقد تولت الشركة عملية تدريب عناصر حزب المؤتمر الوطني واختيار الجلبي لقيادته . كما أنّ شركة راندوم هي التي باعت قيادة المؤتمر هذه إلى اللوبي الصهيوني ، وتحول اللوبي ذاته إلى قناة الوصل بين الجلبي و زمرته وبين اسرائيل ، ومن ثم تحولت القناة إلى جسر عبر من خلاله الجلبي إلى إسرائيل وسافر هناك عدة مرات وأقام في فنادقها باسم مستعار ، كما ذكرت صحيفة بديعوت أحرنوت (2/5/2003) .

ومن بين هذه العقود : عقد شركة " بنادور " والتي تولت عملية حشد الرأي العام الأمريكي لتأييد الحملة على العراق ، ووقعت اتفاقيات مع مجموعة من الكتاب والباحثين ومراكز الدراسات حيث توزع هؤلاء على مختلف المنابر العامة للقيام بالدور المطلوب . و هناك العقد الذي وُقع مع شركة " شاندويك " التي تولت عملية الدعاية للحرب على

الإرهاب وبث الصور والأخبار والتعليقات التي تبالغ في حجم الإرهاب وتصوره خطرا يهدد البشرية .

ولبيان شيء من الأثر الذي يتركه هذا البعد من الصراع : أذكر مثالا واحدا هو إسقاط تمثال الرئيس العراقي صدام حسين يوم سقوط بغداد ، والذي صور وكأن العراقيين هم من قاموا بذلك بتلقائية وعفوية ، وأنهم يرحبون ويتعاونون مع القوات الأمريكية لمسح الحقبة السابقة والبداية مع حقبة جديدة ، وقد تبين لاحقا أن الأمر كله من ترتيب وإخراج إحدى شركات العلاقات العامة التي استقدمت 123 شخصا ، بعضهم كانت قد ظهرت صورهم ضمن حرس احمد الجلبي – حين قدم من الولايات المتحدة – وقد أدى هؤلاء دور الكومبارس في إخراج اللقطة .

الجانب الثاني - والذي أشار إليه مقال هويدي - هو التحالفات السرية بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وبين قيادات في المعارضة والأقليات في العالم العربي ، ويشير هويدي إلى اللجنة العسكرية المشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، التي أنشئت منذ عشرين عاما ، وتعمل في صمت وبعيدا عن الأضواء .

هذه اللجنة العسكرية توصلت بعد مدولات كبيرة مؤخرا إلى الخلاصة التالية : لأن لإسقاط نظام طالبان تم بترتيب بين المخابرات المركزية وقيادة تحالف الشمال ، ولأن ما جرى في العراق سبقه ترتيب مماثل مع بعض فئات المعارضة ، ولأن واشنطون حققت مرادها في السودان من خلال ترتيب آخر مع جماعات جون قرنق وأحزاب المعارضة ؛ فإن هذه الخبرات أوصلت المتحاورين إلى النتيجة التالية : إن أنظمة المنطقة تتمتع بدرجة عالية من الهشاشة ، لا تسمح لها باحتمال أو مقاومة الضغوط الخارجية . لذلك فإن الوسيلة الناجحة لابتزازها ولي ذراعها ، والتأثير في قراراتها السياسية ، أو حتى تغييرها ، تكون بمد جسور التفاهم أو التحالف مع عناصر المعارضة والأقليات ومنظمات المجتمع المدني في داخل كل دولة.

وبناء على هذه النتيجة فقد خرجت كثير من الرؤى والتعليقات داخل إسرائيل تطالب بتنشيط التحالفات السرية والعلاقات العامة مع المعارضة في العديد من الدول وبشكل خاص : مصر ، سوريا ، لبنان ، إيران.

ويقدم هويدي في مقالته العديد من التقارير الموثقة التي تشير إلى جزء من هذه التحالفات ، وما خفي كان أعظم ، فهناك التحالف بين الكيان الصهيوني وبين قيادة المعارضة الكردية ، والتحالف مع عناصر من الأقليات القبطية والمارونية في المهجر، والتحالف سابقا مع الشاه، ومع شخصيات كبيرة مثل أسياسي أفورقي، جون قرنق (الذي زار إسرائيل عدة مرات) .

وإذا كان مقال هويدي السابق يشير إلى تحالفات أصبح جزءا كبير منها معترفا به ومعلنا - على الأقل من جانب الكيان الصهيوني -، فإن هناك العديد من العلاقات والتحالفات المشبوهة مازالت غير معلنة ولكنها مدمرة وخطيرة. وإلاّ فأين نضع منظمات ال NGOS ودورها الخطير الحالي في العالم العربي؟، وأين نضع مصادر تمويل وشراء العديد من مراكز الدراسات والمنظمات النسائية ومنظمات حقوق الإنسان في العالم العربي، وهو شكل خطير من أشكال الاختراق لأنه لا يصيب الأنظمة ، لكنه يدخل إلى صميم المجتمعات من خلال التعبير القوي عنها وهي : مؤسسات المجتمع المدني؟.